خصوصية نقل الألفاظ الإسلامية إلى اللغات الأجنبية وأثرها في تعزيز سياسات الانتماء للغة العربية والثقافة الإسلامية لدى الوافدين المسلمين

أ. د. خالد فهمي(٢١)

(١) عرف تاريخ اللسانيات العربية التراثية ظاهرة واضحة كان تأثرًا مباشرًا لظهور الإسلام العظيم، عرفت باسم: الألفاظ العربية الإسلامية، ووجدت رصدًا وفحصًا لها في أدبيات فقه اللغة في تراث العربية العريق.

يقول ابن فارس اللغوي في باب الأسباب الإسلامية: «كانت العرب على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم... فلما جاء الله جل ثناؤه بالإسلام... نقلت من اللغة ألفاظ عن مواضع إلى مواضع أخر»(٢٢).

وهذه الألفاظ التي نقلت هي ما اصطلح على تسميتها باسم الألفاظ العربية الإسلامية.

وتوقفت مصادر كثيرة تراثية من مصادر اللغة أمام رصدها وفحصها منها:

أ-الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس٣٩٥هـ، في باب الأسباب الإسلامية ص:(٨٧، ٨٨).

ب- فقه اللغة وسر العربية للثعالبي ت ٤٢٩هـ، فصل في أسماء عربية يتعذر وجود فارسية أكثرها، من مثل: الزكاة والحج والمسلم، والمؤمن والقربان والإقامة وغيرها.

ج- المزهر في علوم اللغة للسيوطي ، ت٩١١هـ.

وقد سبق هؤلاء جميعًا أبو حاتم الرازي ت ٣٣٢هـ، فصنف كتابه: الزينة في الكلمات الإسلامية العربية.

(٢) والحقيقة: أن فحص قوائم هذه الكلمات الواردة في هذه المصادر اللغوية المذكورة يكشف عن توزعها على الحقول التالية:

أولًا- حقل ألفاظ العقيدة والتوحيد، مثل: الإيمان والإسلام والنفاق.

ثانيًا- حقل ألفاظ العبادات والطقوس الإسلامية، كالصلاة والصيام والحج.

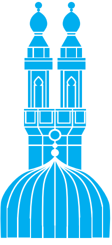
ثالثًا- حقل ألفاظ الأخلاق والتزكية.

رابعًا- حقل ألفاظ الرموز الإسلامية المادية التي أنتجتها الرؤية الإسلامية للوجود والحياة، من مثل: المحراب، والمنارة، والمسجد، والهلال، وغيرها.

---

(٢١) أستاذ في كلية الآداب، جامعة المنوفية.

(٢٢) الصاحبي في فقه اللغة، ص (٨٧).




(٣) وقد أخذ انتقال هذه الألفاظ الإسلامية العربية عدة مراحل تاريخية يمكن تلخيصها فيما يلي:

أولًا- مرحلة انتقال الألفاظ العربية الإسلامية إلى اللغات الأجنبية المحيطة بجزيرة العرب من خلال مراسلات النبي ﷺ التي وجه بها رسله وسفراءه إلى ملوك الأمم المجاورة.

وقد احتفظت بعض المؤلفات بهذه الرسائل من مثل:

أ-المصباح المضيء في كتاب النبي إلى ملوك الأرض من عربي وأعجمي، لابن حديدة الأنصاري، ت ٧٨٣هـ.

ب- إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين، لابن طولون الدمشقي ت ٩٥٣هـ.

ثانيًا- مرحلة انتقال الألفاظ العربية الإسلامية بعد اختلاط شعوب الأمم الأخرى بالعرب المسلمين في الفتوح الإسلامية؛ حتى عرفت هذه الظاهرة باسم الفتوحات اللغوية.

ثالثًا- مرحلة انتقال هذه الألفاظ في حقبة الحروب الصليبية التي احتك فيها الغزاة بالمجاهدين المسلمين.

وفي هذا الصدد يقول الأب روفائيل نخلة اليسوعي: «سبب تأثير لغة العرب في كل لغات أوروبا هي فتوحاتهم، فلم يمض على ظهور الإسلام بينهم ردح من الزمن حتى فتحوا البلاد المختلفة»[٢٣].

والحقيقة: أن انتقال هذه الألفاظ العربية الإسلامية بصورتها اللغوية والصوتية أسهم إسهامًا مهمًّا في عدم تعرض دلالات ما ينتمي منها إلى العبادات والعقيدة إلى التحرف أو التأثر بمعتقدات هؤلاء الأقوام الأجانب، وهو الأمر الذي حافظ على السمت اللغوي لهذه الألفاظ.

وهذا الانتقال بهذه الكيفية كان واحدًا من أهم وسائل تعزيز سياسات الانتماء للغة العربية بوصفها لغة دينية ومقدسة في جانب ما يتعلق منها بالدين والعقيدة والعبادات من جانب، وتعزيز سياسات الانتماء للثقافة الإسلامية لدى الوافدين المسلمين فيما بعد إلى البلدان العربية، الأمر الذي عزز سبل التواصل بين هؤلاء الوافدين والعرب المسلمين في البلدان العربية المسلمة، ولا سيما إذا كان هذا التواصل متعلقًا بأمور الدين الصلبة في الأساس.

(٢٣) كتاب غرائب اللغة العربية، ص(١٢٧).